دور علم الاجتماع في التغير الاجتماعي في ظل تحديات العولمة الثقافية

أ.م. د. نزار عبد السادة
كلية الآداب جامعة واسط

مقدمة البحث ومشكلته:

للعلوم الانسانيّة دور اساسي في الكثير من المجالات الحيوية داخل المجتمع، وذلك من خلال نشر المعرفة المتعلّقة بسلوك البشر والمجتمعات، وطرح القضايا المعاصرة على طاولة البحث، مثل قضايا البيئة والعنف والادمان والتّغيّر الاجتماعيّ والهجرة؛ كم أنّها معنيّة بإيجاد الحلول الاجتماعيّة والبشريّة. ومن ثم فدراسة هذه التخصصات الاجتماعية التي تنتمي إلى حقول العلوم الإنسانية، من قبيل الفلسفة، والتاريخ والجغرافية والآداب وعلم الاجتماع والنفس والسياسة والاقتصاد وغيرها. ليس مجرد كماليات تجعل منا أكثر توازنا في دراساتنا باطلاعنا عليها. بل هي أكثر من ذلك. إنها مشروع لإنتاج وصناعة أمة أكثر ازدهارا ورخاء وأمنا، وأكثر محافظة على هويتها في ظل هذه العولمة وتحدياتها الكبيرة.

ان التوجه إلى الدراسات الاجتماعية والإنسانية توجه نحو الحلول العملية والعلمية، فلا بد لنا من تلك العلوم حتى نحافظ من خلالها على جوهر إنسانيتنا التي لا نزال نحتفظ بها وسط هذا العالم، ولكي نسترد ما ضاع. فهي تساعدنا على التكيف وتساعدنا على الإبداع، فهي مصدر قوة الفرد والمجتمع وبالتالي فهي مصدر قوة الدولة. وتتمثل مشكلة الدراسة في محاولة فهم وتحليل دور الدراسات الإنسانية عامة وعلم الاجتماع خاصة في ظل التطورات والتغيرات المتسارعة والمتلاحقة في المجتمع، خاصة في ظل التحديات العلمية والثقافية التي يشهدها عصرنا الحالي.

وفي ضوء ما تقدم تتلخص مشكلة البحث بالإجابة عن السؤالان الاتيان:

-ما دور العلوم الإنسانية عامة وعلم الاجتماع خاصة في تنمية وتطوير المجتمع في ظل تحديات العولمة الثقافية.

-ما اسهامات علم الاجتماع في فهم التغيرات والتحولات الاجتماعية المعاصرة.

وفي ضوء ذلك تم تقسيم هيكلية البحث على جملة نقاط اساسية هي:

المبحث الاول: الإطار المنهجي للبحث
المبحث الثاني: علم الاجتماع ودراسة المجتمع
المبحث الثالث: علم الاجتماع بين منهج الفهم والتفسير
المبحث الرابع: دور علم الاجتماع في التغير الاجتماعي
المبحث الخامس: علم الاجتماع وتحديات العولمة الثقافية:
التوصيات والمقترحات

المبحث الاول

أهمية البحث: تأتي أهمية البحث من خلال الإجابة عن التساؤلات المطروحة حول دور علم الاجتماع في التغير الاجتماعي، وكذلك معرفة الاسهامات العلمية التي يقوم بها علم الاجتماع في الوقت الراهن، وكذلك معرفة المستجدات والتغيرات التي تطرأ على المجتمع والافراد خاصة في ظل تحديات العولمة الثقافية، وكيفية مواجهة تلك التغيرات والتحديات التي تؤثر على افراد وجماعات المجتمع ككل. ويهدف البحث الحالي الى تحقيق عدد من الأهداف.

١- معرفة دور علم الاجتماع في عملية التغير الاجتماعي.
٢- معرفة تأثير العولمة الثقافية على المجتمع وكيفية مواجهة تحدياتها.

٣- معرفة ما يتمخض عن البحث من توصيات ومقترحات.

منهج البحث: ان المنهجية التي اتبعها الباحث في هذا البحث هي منهجية البحث الوصفي التحليلي لغرض بناء الجانب النظري بعد الاطلاع على ما توفر للباحث من مصادر علمية تخص موضوع البحث.

المصطلحات المستخدمة في البحث:

التغير الاجتماعي Social change: يعرف التغير الاجتماعي بأنه كل تحول يقع في التنظيم الاجتماعي سواء اكان في بناءه او في وظائفه خلال فترة زمنية معينة وبالتالي هو كل تحول يمكن ان يقع في التركيب السكاني، او البناء الطبقي او النظم الاجتماعية او العلاقات الاجتماعية، او القيم والمعايير المؤثرة في سلوك ومكانة وادوار افراد مجتمع من المجتمعات. (١) ويشير مصطلح التغيير الاجتماعي الى عمليات التحول والتغير التي تطرأ على الحياة الاجتماعية لإفراد المجتمع، وهو ظاهرة اجتماعية وطبيعية تخضع لها جميع الشعوب في جميع الأوقات. (٢) ويعرف (غوي روشي) التغير الاجتماعي بقوله هو كل تحول ملاحظ في الزمان يلحق بطريقة لا تكون عابرة بنية وسيرورة النظام والناء الاجتماعيين. (٣) والتغير الاجتماعي هو الاختلاف عن أنماط الحياة المقبولة سواء كان هذا الاختلاف راجعا على التغير في الظروف الجغرافية او في الإمكانات الثقافية او في تكوين السكان او في الأيديولوجية او نتيجة الانتشار او الاختراع داخل الجماعة. (٤)

العولمة: (Globalization): لقد ظهر مصطلح العولمة أولا باللغة الانكليزية ثم ترجم الى اللغات الأخرى ومنها اللغة العربية، والى جانب كلمة العولمة جرى تداول كلمات أخرى في اللغة العربية ترجمة للفظ الانجليزي (Globalization) منها الكوكبة والكونية ووجد متحمسون لكل كلمة من هذه الكلمات، ولكل منهم حججه في ذلك ولكن يبدو ألان غلبة لفظ العولمة على غيره من الألفاظ الأخرى للدلالة على هذه الظاهرة. (٥) ويعرف ماكوم ووترز العولمة بأنها عملية تؤدي الى تغير وتداعي الحدود الجغرافية والنظم الاجتماعية والثقافية والى اتساع المعرفة العامة(٦). ويعرف (رونلدو روبرتون) العولمه بأنها (وعي الافراد في كل مكان بأن العالم ينكمش ويتقلص ويقترب من بعضه بعضا) (٧)

العولمة الثقافية: ويقصد بها الدعوة الى بناء ثقافة كونية ذات عناصر عالمية مشتركة تتضمن نسقا معينا من القيم والمعايير والتي يراد فرضها على شعوب العالم مما قد يؤثر بالسلب على الخصوصية الثقافية لهذه الشعوب. (٨) كما تعرف العولمة أيضا على انها تنكر للجوانب الروحية والدينية والأخلاقية السامية والإنسانية اذ انها تؤدي الى تبديد الانسان والبيئة معا، وتعرض الوجود البشري لخطر الإبادة كما تؤدي الى علاقة ظالمة بين الشعوب والشعور بالوحدة والخوف والقلق والاضطراب مما ينتج عنه ظواهر تتسم بتصاعد الجريمة والبطالة والانحراف وتفسخ العلاقات بين افراد المجتمع الواحد وبين افراد الاسرة الواحدة. (٩) وخير ما قيل في العولمة يمكن قراءته في معجم (باكلوع) العولمة هي الكذبة الكبيرة التي نقدمها لنخفي على الشعوب كونهم ضحية ابتزاز واستلاب من طرف دولهم وحكوماتهم لنوهمهم انهم ضحايا مؤامرة عالمية، فتحويل الاهتمام والأنظار نحو عدو خارجي ومؤامرة غربية نجح وساهم في عدم ظهور أصوات وثورات ضد منظومة النهب والسلب الجماعي والمعمم .(١٠)

علم الاجتماع: (Sociology): اختلف العلماء على تعريف علم الاجتماع، فقد عرف ماكس فيبر علم الاجتماع بأنه يحاول الوصول الى فهم للفعل الاجتماعي بغرض التوصل الى تفسير علمي لهذا الفعل ولطريقته ونتائجه. اما باريتو فيقول بأنه يدرس الظواهر الاجتماعية دراسة علمية امبيريقية في تفاعلها بعضها مع البعض الاخر وفي التأثيرات المتبادلة بينها. (١١) وقد عرفه بيتر سروكين بقوله هو ذلك المفهوم الذي يشير الى جميع المعلومات الخاصة بالتشابه بين مختلف الجماعات الإنسانية وانماط التفاعل المشترك بين مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والإنسانية. (١٢) وقد عرفة العالم سمول أيضا بأنه (علم دراسة الانسان في تأثره وتأثيره في المجتمع) (١٣)

المبحث الثاني: علم الاجتماع ودراسة المجتمع

ولا: نشأة علم الاجتماع: كان ظهور علم الاجتماع باعتباره الدراسة العلمية للمجتمع بمثابة محاولة لمساعدة الانسان على تقديم التفسيرات العلمية للتحولات والتبدلات غير المنتظمة التي تحدث لبناء المجتمع البشري. (١٤) ومن ثم اجمع علماء الاجتماع على انه العلم الذي يهتم بدراسة المجتمع البشري والكائنات البشرية وعلاقاتها بالجماعات والتنظيمات الاجتماعية التي تنتمي اليها. (١٥) ويعتبر العالم الفرنسي اوجست كونت اول من صاغ تسمية لهذا العلم الذي يهتم بدراسة الحياة الاجتماعية للإنسان وعلاقة الافراد مع بعضهم في البيئة المحيطة بهم ، ويعتبر هذا المصطلح مزيجا من كلمتين او مقطعين احدهما لاتيني وهو كلمة (Logy) وهي تعني العلم او الدراسة العلمية والمقطع الثاني يوناني وهو مقطع (socio) وهو يعني مجتمعا او ناسا ، وقد قسم اوجست كونت هذا العلم الى قسمين اساسين يهتم الأول اول منها بدراسة النظم الاجتماعية من حيث تكوينها ودورها في المجتمع ، وهو ما يسمى (بالاستاتيكا الاجتماعية) ، بينما يهتم الثاني بدراسة تطور المجتمع وتغيره وهو ما يسمى (بالديناميكا الاجتماعية) . (١٦) وكان (اوجست كونت) مؤمنا شأن اغلب معاصريه بالتقدم وهو اعتقاد مؤداه ان الإنسانية سوف تزداد يقينا تقدما ونموا ووصولا الى مستويات اعلى واعلى حتى وان عانت في بعض الأحيان من نكسة هنا او هناك، وترتب على هذا الاعتقاد ان ما علينا الا ان نمد يد المساعدة لكي نصل بالمجتمع الى مرحلة يعتمد فيها على مجموعة من المبادئ العلمية المتناغمة او الوصول الى مجتمع أفضل مما نحن فيه. (١٧) هذا وقد حقق علم الاجتماع تقدما حاسما خلال النصف الأول من القرن العشرين على يد كثير من العلماء الاجتماعيين أمثال (هربرت سبنسر) في إنجلترا، (واميل دوركيم) في فرنسا (وفرديناند تونيس وماكس فيبر) في المانيا ، (وتالكوت بارسونز والفين جولدنر)في الولايات المتحدة الامريكية .

ثانيا: علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية: تختلف العلوم الاجتماعية عن غيرها من العلوم الطبيعية في ان الأولى تحاول فهم أفعال الانسان نفسه ومعرفة النتائج التي تترتب على نشاطاته الفردية والاجتماعية، اما العلوم الطبيعية فهي تتعامل مع مجهودات الانسان لفهم ظواهر الكون.(١٨) وتتفق العلوم الاجتماعية مع غيرها من العلوم الطبيعية في استخدام كل منهما للمنهج او الطريقة العلمية التي تتلخص في انها عملية لاكتساب او تنمية المعرفة بطريقة علمية منظمة تعتمد على تحديد المشكلة، وصياغة الفروض او الأفكار التي تدور حول كيفية حل هذه المشكلة، ثم اختبار هذه الفروض وأخيرا تحليل النتائج واستخلاص التعميمات. (١٩) ويعتبر علم الاجتماع جزءا من نظرية المعرفة ويتحدد موقعه من خلال العلوم الاجتماعية التي تشكل بدورها جزءا من نظرية المعرفة أيضا وبما ان نشاطات الانسان متعددة ومختلفة الامر الذي يتطلب ان تتكون هذه النشاطات في ميادين معرفية مستقلة (علوم) فتعددت العلوم الاجتماعية وغيرها بتعدد نشاطات الناس ، ومن هنا فان العلاقة بين هذه العلوم كلها تمثل جوهر الانسان بنشاطاته المختلفة ، ان العلوم الاجتماعية كلها تدرس زوايا المجتمع المختلفة ، ولما كانت زوايا المجتمع واركانه متكاملة فأن العلوم الاجتماعية ذاتها تكون متكاملة ومترابطة ولا يمكن فصل بعضها عن بعض ، فالأنثروبولوجيا (علم دراسة الانسان) يدرس الانسان ومؤسساته البنيوية من حيث أصولها وتطورها التاريخي ووظائفها وعلاقات بعضها ببعض ، وكذلك علم الاقتصاد وعلم والسياسة وغيرها . (٢٠) ويعتبر علم الاجتماع احد العلوم الاجتماعية التي تبحث في دراسة السلوك الإنساني وذلك من خلال دراسة المجتمع والظواهر الاجتماعية والتفاعلات الإنسانية او العلاقات الاجتماعية التي توجد بين الافراد والمجموعات التي يعيشون فيها ، ومعرفة العلاقات التي تنشأ بينهم وتحديد القواعد والنظم لمثل هذه العلاقات وبذلك فأن هذا العلم يختلف عن بقية العلوم الاجتماعية الأخرى ، فعلم الاقتصاد يهتم مثلا بمشاكل الإنتاج والاستهلاك وعلم النفس يهتم بدراسة العلاقات بين الافراد(٢١) .

ثالثا: اهداف علم الاجتماع:

يحقق علم الاجتماع عدد من الأهداف الرئيسة يمكن تلخيصها فيما يلي:

١- بناء معرفة علمية وموضوعية حول المجتمع وبنياته الفرعية وعلاقة ذلك بالإفراد الفاعلين.

٢- حل المشكلات الإنسانية التي يعاني منها الافراد والجماعات.

٣- ومن خلال علم الاجتماع نستطيع ان نرى العالم الاجتماعي من وجهات نظر مختلفة، وإذا فهمنا بشكل صحيح أسلوب حياة الاخرين فأننا على الاغلب نكسب فهما أفضل لطبيعة ما يواجهونه من مشكلات.

٤- يمكن الباحث من دراسة بعض المشكلات الاجتماعية في الحياة والتي تساعد دراستها على حل بعض المشكلات الكبرى التي توجد في بعض المجتمعات. (٢٢)

المبحث الثالث: علم الاجتماع بين منهج الفهم والتفسير

يعد البناء المنهجي لعلم الاجتماع أداة العلم الأساسية لصياغة النظرية والتحقق منها وتحصيل المعرفة العلمية الدقيقة حول المجتمع وظواهره. وتتوزع المداخل المنهجية بين مداخل ذاتية ومداخل موضوعية:

١- المداخل الذاتية: تشير المداخل الذاتية الى ان الباحث بمثابة متغير أساسي في عملية البحث وتنحصر المداخل الذاتية في المدخل الانثربولوجي وهو المدخل الذي يشير لتناول وحدة الدراسة سواء اكانت جماعة (قبيلة) او مجتمع محلي من كافة جوانبها البنائية بالوصف العلمي في ضوء البيانات التي يجمعها الباحث عن طريق ملاحظاته وانطباعاته الذاتية وتحليله للوثائق والسجلات حول وحدة الدراسة معتمدا في ذلك على الفهم الذي اتخذه كل دلتاي وماكس فيبر مدخلا أساسيا لدراسة الظاهرة الاجتماعية باعتباره أداة معرفية لتفسير الواقع.

- المدخل الاثنوميثودولوجي : ويشير هذا المدخل لتناول الظاهر موضوع الدراسة لدى شعب معين من الشعوب على أساس الدلالات الرمزية واللغوية لدى هذا الشعب أي ان الباحث يعتمد على المعطيات الفعلية المرتبطة بثقافة معينة في تحليله لهذه الثقافة والظواهر التي يعالجها في سياقها .

- المدخل الفينومولوجي : وهنا يكون تناول الباحث للظاهرة وتحليلها في ضوء رؤيته الذاتية التي تحددها خبراته الخاصة .

٢- تشير المداخل الموضوعية لتلك المداخل المقننة بالصورة التي ينحصر فيها دور الباحث في اضيق الحدود. وتتمثل هذه المداخل بالمدخل التجريبي والمدخل التاريخي والمدخل المقارن والمدخل الرياضي. (٢٣)

ومن يتأمل علم الاجتماع بدقة يجد ان هناك منهجين مهيمنين: منهجا علميا موضوعيا يتكئ على التفسير السببي والعلي، ومنهجا ذاتيا انشائيا تأمليا واخلاقيا وتأويليا يقوم على الفهم، ويعني هذا ان ثنائية الذاتية والموضوعية حاضرة في مجال العلوم الإنسانية وكما يلي:

أولا: علم الاجتماع ومنهج التفسير: تعني كلمة التفسير في مجال العلوم الإنسانية دراسة الظواهر المجتمعية على أساس ارتباطها السببي والعلي، بمعنى دراسة المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة ضمن رؤية تجريبية وعلمية، بغية استصدار القوانين والنظريات ومن هنا يعد التفسير من اهم مبادئ الفكر العلمي. ويسمى التفسير أيضا بالنسق العلي او السببي عند عبدالله إبراهيم ويعرفه بقوله: قوام النسق العلي (السببي) تصور علاقة زمنية ثابته بين الظواهر بحيث يؤدي وجود ظاهرة ما بالضرورة الى وجود الظاهرة الثانية ، كما تشير العلاقة العلية بين ظاهرتين الى ارتباط ضروري بينهما بحيث تسبق واحدة منهما زمنيا الأخرى ، ولهذا فأن للبعد الزمني أهمية في تحديد العلاقة العلية .(٢٤)

ثانيا: علم الاجتماع وإمكانية منهج الفهم: ان أحد التصورات الخاطئة عن عملية الفهم هو اعتبارها مجرد عملية حدس او تخمين يقوم بها الباحث، ومن ثم فأن كثيرا من النقاد يعدون الفهم منهجا ضعيفا يتميز بالذاتية وعدم الرشد، اما فيبر نفسه فقد

رفض رفضا قاطعا القول بأن الفهم لا يقوم الا على الحدس او المشاركة او التقمص الوجداني، فالفهم من وجهة نظره يقوم على البحث المنظم الفائق الدقة وليس مجرد الإحساس الداخلي بالنص المكتوب او الظاهرة الاجتماعية، وبمعنى أوضح فأن الفهم لدى فيبر يعتبر اجراءا رشيدا او عقلانيا في الدراسة. (٢٥) وان الفهم عملية معرفية ضرورية في الدراسات الإنسانية فليس هو وسيلة التعرف على الوقائع فحسب، وانما هو أداة تفسير هذه الوقائع أيضا، ان العالم الطبيعي قائم ويمكن معرفته اما العالم الإنساني فهو عالم ينطوي على معنى ويمكن فهمه ونحن نستطيع ان نفهم الارتباطات بين الاحداث الإنسانية، على حين اننا في العلم نستطيع فقط ان نلاحظ وان نعمم، فمن العبث ان تسأل لماذا تسقط الاجسام وفقا لقانون الجاذبية، ولكننا نستطيع ان نطرح تساؤلات عديدة مؤداها لماذا يقدم الناس على الانتحار؟ ولماذا ينجبون أطفال؟ او ينفقون أموالهم بطريقة معينة؟ وهكذا عن طريق الفهم يمكننا ان نعثر على الإجابة الملائمة لكل تساؤل من هذه التساؤلات. (٢٦) وان تقدم المعرفة بالإنسان وعلاقاته الاجتماعية يتوقف على مدى تطوير تلك العملية المعرفية وتمحيصها، ونظرية الفهم قادرة على تعميق قدرتنا على الاستبصار بالمشكلات والحلول المناسبة لها . اما القيمة العملية لهذا المدخل المنهجي فسوف يحكم عليها الممارسون والمتخصصون في كل فروع من فروع الدراسات الإنسانية. (٢٧)

المبحث الرابع: دور علم الاجتماع في التغير الاجتماعي:

أولا- أنواع التغير الاجتماعي: هناك نوعان من اتغير الاجتماعي هما:

١- التغير المفاجئ: يحدث هذا النوع من التغير فجأة وبدون مقدمات ظاهرة وقد يسمى هذا النوع من التغير طفرة، ان كان تغيرا اجتماعيا او ثورة ان كان تغيرا سياسيا، وقد يؤدي هذا النوع في الناحيتين السياسية والاجتماعية الى نتائج حسنة او سيئة.

٢- التغير التدريجي: وهي الطريقة التي تتمشى مع أسلوب الحياة وطبيعة الأشياء وهي طريقة النمو التدريجي المستمر وتنطبق هذه الظاهرة على كل من النبات والحيوان بالإضافة الى التغيرات في المظاهر الاجتماعية والإنسانية. وتكون عملية التغير التدريجي في الغالب تغيرا نحو الأفضل والاحسن وتكون كذلك تطورية اما فطرية او مكتسبة مدروسة ومخطط لها. (٢٨)

ثانيا: عوامل التغير الاجتماعي:

هناك عدة عوامل تشترك الدراسات الاجتماعية عامة في اعتبارها عوامل أساسية في احداث التغيرات الاجتماعية ، من هذه العوامل ما هو ايكولوجي (فيزيقية) أي العوامل البيئية الطبيعية المادية مثل المناخ وسقوط الامطار والثلوج والرياح وغيرها من الظواهر الاجتماعية ، ومن هذه العوامل ما هو بيولوجي ويعني ذلك التأثر بعوامل الوراثة والعرق ، وهناك عوامل سكانية مثل زيادة السكان او نقصانهم ومعدلات الولادات والوفيات والجرات الداخلية والخارجية ، وهناك عامل اخر هو العامل الأيديولوجي (الفكري) أي نظرة الافراد والمجتمع لمفاهيم مثل العالم والكون والانسان . (٢٩) وقد يتم التغير الاجتماعي من خلال وجود فرد يتصف بالطموح والرغبة الشديدة في الإنجاز على تقمص الأدوار المستقبلية، وهذا الفرد يحمل على اكتافه مهمة نقل مجتمعه من المرحلة التقليدية الى المرحلة الحديثة المتطورة. وقد يتم التغيير الاجتماعي من خلال الانتشار او الذيوع، أي اتصال حضارتين مختلفتين في الصفات والعناصر المكونة لبنائها يتبادلان فيما بينهما الابتكارات الحضارية التي تخضع لعامل تشابه القيم والمعتقدات والمستوى التطوري التكنولوجي عند كلتا الحضارتين. (٣٠)

ثالثا: عوائق التغير الاجتماعي:

ان عالم الاجتماع يهتم بدراسة عوائق التغير الاجتماعي وذلك لأهميتها في ميدانه بعكس عالم التاريخ الذي لا يعيرها التفاتا كبيرا نظرا للفترة الزمنية الطويلة التي يؤرخ لها وتقف بعض المعوقات والعقبات في كثير من الظروف والاحوال في طريق التغير الاجتماعي مما يؤدي على ركوده وبطء تقدمه لفترات قد تطول او تقصر واهم هذه المعوقات هي:

- العزلة الاجتماعية.
- عدم التكامل والتجانس في المجتمع.

- الرغبة في الحفاظ على القديم والخوف من التغيير.
- ركود حركة الاختراع. (٣١)

رابعا: اهداف التغير الاجتماعي:

يحث التغير عادة لتصحيح خللا ما او تنظيم وضع قائم تشوبه الكثير من المخاطر وقد يكون حلا لمشاكل عالقة، اما كيف نتغير فيمكن ملاحظة ذلك على اكثر من مستوى:

- ما يحث على المستوى الفردي، عن طريق اعتماد طرق تدريب وتنمية قدرات وترشيد سلوك واتجاهات لغاية عمل أفضل ولإداء مهني ووظيفي جيد.

- ما يحث على مستوى الجماعة، عن طريق التبدل الحاصل في معالمها ونمط حياتها بين ما كان سائدا من عادات وتقليد ترى انه لم يعد بالإمكان الاخذ بها ، فلابد من اعتماد طرق عصرية أخرى .

- ما يحدث على المستوى العام عندما تقوم الدول والأنظمة بوضع خطط واستراتيجيات متطورة لضرورة الحياة الاقتصادية والاجتماعية. (٣٢)

خامسا: دور علم الاجتماع في التغير الاجتماعي

تمر المجتمعات بمختلف أنواعها سواء كانت متقدمة او نامية بموجات متلاحقة من التغير السريع، تشمل الجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسلوكية، ومهما كانت كفاءة الخطط والبرامج التي يضعها المجتمع لتوجيه مسيرة تلك التغيرات، فان سرعتها تؤدي لظهور بعض المشكلات التي تواجه الانسان في نطاق الاسرة والعمل ومختلف نواحي الحياة اليومية. (٣٣) لذلك تزايد اهتمام المجتمعات بدعم العلوم الإنسانية والاجتماعية وخاصة تلك العلوم التي تهتم بالإنسان وعوامل استقراره وتكيفه مع الجماعات والمجتمع والتي تسعى لفهم ظروف العصر ومشكلاته ومتطلبات الانسان وحاجاته التي تدعم استقراره في ظروف تلك التغيرات، حتى يمكن للمجتمع ان يضع خططه ويصوغ برامجه ومشروعاته بما يساعد على اشباع حاجات الانسان وتحقيق متطلبات الحياة الاجتماعية السليمة لإنسان هذا العصر. (٣٤) كما ان نتائج البحث الاجتماعي الذي يقوم به الباحثون وعلماء الاجتماع تساعد قادة المجتمع من أكاديميين وخبراء تربية ومشرعين ومدراء وسياسيين وغيرهم من حل وفهم المشاكل الاجتماعية، وصياغة سياسات عامة مناسبة لمواجهة احتياجات مجتمعاتهم. (٣٥) وتتضح اسهامات علم الاجتماع في دراسة المشكلات التي تتعرض لها في محيط الاسرة والتنشئة وفي مجال العلم والترويح، بالإضافة للمشكلات التربوية في مختلف قطاعات التعليم، وذلك لفهم ابعاد هذه المشكلات وعواملها الاجتماعية والتربوية والثقافية وتحديد انسب الحلول لها مع تقديم البرامج الارشادية، وبرامج الخدمات الفردية والجماعية لمواجهة لتلك المشكلات. (٣٦) وفي مجال التخطيط والتنمية تؤكد الهيئات الوطنية والدولية التي تعني بعمليات التنمية، على أهمية علم الاجتماع وبحوثه في ترشيد خطط التنمية ومشروعاتها بما يدعم مسيرتها ويجعل لها مردودات إيجابية بالنسبة للمجتمع وأعضائه، فبقدر ما توفره بحوث علم الاجتماع من معرفة علمية واقعية حول احتياجات المجتمع وأعضائه ومتطلبات الحياة الاجتماعية والإمكانات المتاحة في المجتمع، يمكن رسم خطط التنمية وتوجيه مشروعاتها في ضوء إمكانيات المجتمع. (٣٧) وبذلك نجد ان علم الاجتماع يسلك كافة السبل ليصل الينا كأفراد واسر ومجتمع بهدف توفير المناخ المناسب وتوفير متطلبات الحياة الاجتماعية في المجتمع.

المبحث الخامس: علم الاجتماع والتحديات الثقافية للعولمة.

لقد ظهرت العولمة في أدبيات العلوم الاجتماعية كأداة تحليلية لوصف عمليات التغير في مجالات مختلفة ، ولكنها ليست مفهوم مجرد ، وإنما كعملية مستمرة يمكن ملاحظتها سواء في مجال السياسة او الاقتصاد او الثقافة او الاتصالات ، ويرى الباحثون ان للعولمة أربع عمليات أساسية هي المنافسة بين القوى العظمى والابتكار التكنولوجي ، وعولمة الإنتاج

والتبادل والتحديث ، وعلى الرغم من ذلك فان العولمة التي أصبحت دارجة في الأدبيات مازالت تعاني من بعض الغموض ، سيما فيما يتعلق بمعنى العولمة وحقيقتها، كما ان هناك غموضا إضافيا فيما يتعلق بإفرازات ونتائج العولمة عموما وما يترتب عليها بالنسبة للواقع العربي بشكل خاص . (٣٨)

ويذكر الاختصاصيون في التربية والتعليم ان العولمة قلبت معايير التعليم وجعلتها تسير في اتجاهات عكسية تماما مع اتجاهات الواقع المحلي في محاولة المتابعة لاتجاهات السوق العالمية التي تتسم بالتبدل والتغير، والتحرر من كل التقاليد والأعراف التي من شأنها الثبات والاستقرار المنظور في أدنى الحدود على الأقل. وهذا التحدي اثر في نوعية التأهيل والقدرة في مجالات العمل المتصلة بالسوق الذي يطلب نتيجة المتابعة للسوق العالمي كفاءات ذات مواصفات تتواءم ومتطلبات السوق العالمية. (٣٩). وفي السياق نفسه جعلت العولمة الثقافية من وظيفة مؤسسات التعليم العالي وظيفة غير قادرة على الانتقاء فهي أمام خيارات صعبة، تتمثل باختيار العزلة أو الانصهار في الآخر والتبعية الخرساء له في جانب أو خيار الانتقاء وهذا خيار نادرا لا يتم اللجوء إليه او اعتماده نتيجة لبروز العديد من الصعوبات الاقتصادية التي تعاني منها الكثير من الدول النامية مما يجعلها غير قادرة على اتخاذ قرار مستقل يتجاوز الهيمنة، فضلا عن تعدد وسائل الثقافة وأدوات التعميم لثقافة الأقوى.(٤٠)

وتواجه العلوم الاجتماعية سلسلة من التحديات النظرية والمنهجية نشأت من عمليات تجاوزت الحدود القومية من امثلتها العولمة الثقافية والسياسية والاقتصادية وقد تشكلت هذه التحديات في ظل الحقيقة القائلة ان كل ما هو كوني سواء كان نظاما او عملية او ممارسة مستمرة او متخيلة اذا كان قد تجاوز الاطار الحصري للدول القومية فانه في الوقت نفسه وجزئيا لا يزال يقطن نظما واقاليم قومية. (٤١) وعلى سبيل المثال كانت المدينة ولوقت طويل موقعا استراتيجيا لا كتشاف موضوعات رئيسية كثيرة تواجه المجتمع وعلم الاجتماع ولكنها لم تكن دائما فضاء يساعد على الكشف، ففي النصف الأول من القرن العشرين كانت دراسة المدينة تحتل موقع القلب من علم الاجتماع، وهذا امر واضح في كتابات جورج سيمل وماكس فيبر وولتر بنيامين ، والأكثر بروزا مدرسة شيكاغو خاصة روبرت بارك ولويسر ويرث وكلاهما تأثر بعمق بعلم الاجتماع الألماني . وقد واجه علماء الاجتماع هؤلاء عمليات ضخمة التصنيع والتحضر والاغتراب في تشكيل ثقافي جديد أطلقوا عليه مصطلح الحضرية. (٤٢)

ان التطورات السريعة في تكنلوجيا الاتصال والاعلام والثورة المعلوماتية والتطورات الاقتصادية والصناعية والتجارية، وتوسع شركات الإنتاج والتجارة وجماعات المصالح والسياسة المرافقة لها، تغييرات مذهلة بتسارعها في مجتمعاتنا وتترك الحالة الراهنة لحركة العلم وتغيراته اثارا عميقة في التكوينات والبنى الإنسانية المختلفة من الاسرة الى المجتمع المحلي الى المجتمع –الدولة الى النظم الإقليمية والمنظمات والبنى الدولية وفي توجهات الاقتصاد والساسة والثقافة والمجتمع المدني(٤٣)

ان هذه التغيرات الملموسة تشجع وتحث على ان يمارس علم الاجتماع دورا نقديا في دراسة وفهم المجتمع، وعلى توظيف عملي لعلم الاجتماع ودور أكثر فعالية في معالجة المشكلات الاجتماعية وتنظيم المجتمع، ومن هنا تنشأ الحاجة والاهمية الى التركيز على تحفيز علم الاجتماع في المجتمعات المعاصرة، لدراسة القضايا والمشكلات الاجتماعية وتوجيه هذا العلم توجيها تطبيقيا يخدم المؤسسات الاجتماعية بأنواعها المختلفة الاقتصادية والسياسية والثقافية والتنظيمية. (٤٤)

ان المجتمع اليوم يمر بمرحلة تغير سريع، تكنولوجيا حديثة، عولمة، ثراء فاحش، وبطالة واسعة، وحروب جديدة من نوع ومبررات جديدة، وحركات شباب، وثورات جديدة، ومجتمعات افتراضية، هذه المشكلات تضع علماء الاجتماع اليوم في جو من الارباك والتشوش، وذلك انهم قبل ان يتموا السنوات الأولى من برنامجهم البحثي يكون المجتمع قد انتقل الى حالة أخرى مختلفة عما بدأوا به . (٤٥) وقد أصبح في ظل الإفرازات الكثيرة للعولمة ان تواكب المؤسسات التربوية تحديات

الاقتصاد القائم على المعرفة في عصر المعلومات، وتعد القدرات والمهارات هامة لمكان العمل الناشئ، وإذا أردنا ان يصبح الطلبة مستخدمين أذكياء للتقنية والمعلومات، فان عليهم أيضا ان يتعلموا كيف يصبحوا مبدعين ومبتكرين، اذ يجب ان يشاركوا في حل المشكلات وإعداد الدراسات (٤٦).

التوصيات والمقترحات

١- من الضروري عقد ندوات ومحاضرات مخصصة لطلبة الجامعات بهدف تعريفهم بمتطلبات الوعي الثقافي والاجتماعي في ظل المتغيرات الاجتماعية المتلاحقة التي يمر بها مجتمعنا اليوم.

٢- اعداد مقررات متخصصة في جميع الأقسام العلمية والإنسانية في الجامعات العراقية الهدف منها تعريف الطالب الجامعي بدوره الاجتماعي والحضاري، في ظل التحديات المعاصرة التي يمر بها البلد.

٣- الاهتمام بوضع برامج توعية من اجل رفع مستوى الوعي الثقافي والسياسي لدى طلبة الجامعات كافة.

٤- من الضروري على الباحثين والأساتذة ان يعرفوا كيفية استعمال التقنيات الجديدة والمعلومات من مصادرها الجديدة ونشر أفكارهم بشكل فعال.

٥- ضرورة الاهتمام بالتغيرات الإيجابية التي تحدث في المجتمع، والانتباه الى معالجة الافرازات السلبية لبعض اثار التغيرات الغير مدروسة.

٦- يوجه الباحث النظر الى أهمية الدراسات الإنسانية ودورها الكبير في تنمية مسيرة التطور والنمو وتحقيق الانتماء المجتمعي وفي كافة المجالات العلمية والتربوية والثقافية والسياسية والروحية.

هوامش البحث ومصادره

١- د. غريب عبد السميع، علم الاجتماع، مؤسسة شباب الجامعة، ط١، ٢٠٠٩، ص٥٤.
٢- د. راغب احمد الخطيب، دراسة في علم الاجتماع، دار الاعصار العلمي، ط١، عمان الأردن، ٢٠١١، ص٥٢.
٣- محمد سيبلا ونوح الهرموزي ، موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية ،منشورات المتوسط ،ط١، إيطاليا ، ٢٠١٧ ص١٤٥.
٤- د. معتز الصابوني، علم الاجتماع التربوي، دار أسامة، ط١، عمان، الأردن، ٢٠٠٦، ص ٨٥.
٥- انظر د. عبد الرشيد عبد الحافظ، الآثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها، مكتبة مدبولي، ط١، مصر، ٢٠٠٥، ص ٨.
٦- مهدي ساماني ، الدين وعملية العولمة ، دار المصطفى ، ط١ ، قم ، ٢٠٠٨، ص٥٤.
٧- احمد جمعة (د)، المعلم ودوره التربوي، عالم الكتب الحديث، ط١، اربد الأردن ٢٠١٣. ص١٤.
٨- المصدر نفسه ص ١٥.
٩- المصدر نفسه ص١٥.
١٠- محمد سيبلا ، ونوح الهرموزي ، مصدر سبق ذكره ،ص ٣٥٨.
١١- د. غريب سميع، مصدر سبق ذكره، ص١٢.
١٢- د. جميل حمداوي، نظريات علم الاجتماع، شبكة الالوكة ، ط١ ، ٢٠١٥، ص٩.
١٣- فادية عمر الجوراني ، مبادئ علم الاجتماع ، شباب الجامعة ، ط١، الإسكندرية ، ١٩٩٣، ص٢٠
١٤- المصدر نفسه ص ١٧،.
١٥- المصدر نفسة ص١٧،
١٦- راغب الخطيب، دراسة في علم الاجتماع، مصدر سبق ذكره، ص٢٢.
١٧- د. غريب عبد السميع، علم الاجتماع، مصدر سبق ذكره، ص٢٧.
١٨- د. طلعت إبراهيم، مبادئ علم الاجتماع، مصدر سبق ذكره، ص٣٣.
١٩- المصدر نفسه، ص٣٣.
٢٠- . د. سمير عبد الفتاح، مبادئ علم الاجتماع، ط١، دار أسامة ، عمان : الأردن ، ٢٠٠٦،ص٢٠.
٢١- راغب احمد الخطيب، دراسة في علم الاجتماع، مصدر سبق ذكره، ص١٧.
٢٢- د. احمد كمال احمد، قراءات في علم الاجتماع، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١.،١٩٧٧، ص١١.

٢٣- د.فادية عمر الجوراني ، مبادئ علم الاجتماع ، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨٩.
٢٤- د. جميل حمداوي، علم الاجتماع بين الفهم والتفسير، ص ٤.
٢٥- د. محمد الجوهري واخرون، تاريخ الفكر الاجتماعي، دار المسيرة، عمان، ط١، ٢٠١١، ص ١٨٩.
٢٦- د. محمد علي محمد، علم الاجتماع والمنهج العلمي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط٣ ، ١٩٨٨، ١٢٦.
٢٧- المصدر نفسه، ١٢٦.
٢٨- د. معتز الصابوني، مصدر سبق ذكره، ص ٩٣.
٢٩- إبراهيم ناصر، (د.)، علم الاجتماع التربوي، ط١، دار الجيل، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣. ص ٢٢٣.
٣٠- د. عبد اللطيف حميد العاني، المدخل الى علم الاجتماع، وزارة التعليم العالي، بغداد، ١٩٩٠، ص١٩٨.
٣١- د. معتز الصابوني، مصدر سبق ذكره، ص٩٣.
٣٢- د. مأمون طربية ، علم الاجتماع في الحياة اليومية ، دار المعرفة ،ط١ ،بيروت ، ٢٠١١، ص ١٩٤.
٣٣- د. فادية عمر الجوراني ، مبادئ علم الاجتماع ، مصدر سبق ذكره ، ص٤٧٣
٣٤- المصدر نفسه، ص٤٧٣.
٣٥- د. سمير إبراهيم حسن، تمهيد في علم الاجتماع، دار المسيرة، ط١، عمان ،٢٠١١، ص٢٧٣.
٣٦- د. فادية عمر الجوراني ، مبادئ علم الاجتماع ، مصدر سبق ذكره ،ص ٤٨٧
٣٧- المصدر نفسه، ص ٤٨٧.
٣٨- السيد رشاد غنيم، دراسات معاصرة في علم الاجتماع ط١، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ٢٠١٠.ص١٠٥.
٣٩- المصدر نفسه، ص ١٠٤.
٤٠- د. عبد الله أحمد الذيفاني ، الشباب العربي والمعاصرة من منظور فكري وتربوي ،ط١، بيت الحكمة ، بغداد، العراق، ٢٠٠٢، ص ٢٣٤.
٤١- ساسكيا ساسن، علم اجتماع العولمة، المركز القومي للترجمة، ترجمة علي عبدالرزاق، القاهرة، ط١، ٢٠١٤، ص٩.
٤٢- المصدر نفسه، ص١١٠.
٤٣- د. سمير إبراهيم حسن، تمهيد في علم الاجتماع، مصدر سبق ذكره، ص٢٧٣.
٤٤- المصدر نفسه، ص٢٧٤.
٤٥- المصدر نفسه، ص٢٧١.
٤٦- د. محمد عوض الترتوري ، والدكتورة ، أغادير عرفات ، أدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي والمكتبات ، ط٢، دار المسيرة ، عمان ، الأردن ، ٢٠٠٩، ص٦٩.